جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

المجلة العلمية

صفات المنافق في ضوء قوله تعالى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ سورة الحج آية (١١) دراسة تفسيرية تحليلية

إعداد

سحر فارس محمد إدريس

قسم الشريعة و الدراسات الاسلامية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،

جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

(العدد الواحد والعشرون)

(ديسمبر ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤ م)

صفات المنافق في ضوء قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج آية (١١) دراسة تفسيرية تحليلية

سحر فارس محمد إدريس

قسم الشريعة و الدراسات الاسلامية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: *wafaahani.alhashmi@gmail.com*

الملخص

إن المسلم لا يتمكن من العمل بما في القرآن الكريم إلا بفهمه وتدبر آياته ، ويحتاج دائمًا لما يعينه على الثبات على الحق ، وأن يحذر من أهل الفتن في كل زمان ومكان ، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتبين شيئا من صفات المنافقين والمذبذبين في الإيمان التي يجب على المسلم الحذر منها والتنبه لها حتى لا يقع فيها ، وجاءت بعنوان :" صفات المنافق في ضوء قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج آية (١١) .

فنحن في حاجة ماسة لتوضيح الفرق بين الإيمان باللسان والإيمان بالقلب واللسان والجوارح خاصة عند الشدائد ، وقد تناولت هذه الدراسة : سبب نزول الآية الكريمة ، والأحاديث التي فسر المفسرون بها الآية ، وأقوال السلف في تفسيرها ،

والقراءات الواردة في الآية وتوجيهها ، والتفسير اللغوي والإجمالي للآية ، وبيان الأساليب البلاغية فيها ، ثم ختمت هذه الدراسة بالفوائد والهدايات واللطائف القرآنية الخاصة بها .

الكلمات المفتاحية: صفات، المنافق، سورة الحج، دراسة تفسيرية تحليلية.

The Characteristics of Hypocrites in the Light of the Qur'anic Verse "Some people worship Allah with unsteady faith: if good befalls them, they are reassured, but if a trial befalls them, they turn completely over; they lose this world and the Hereafter. That is manifest loss" (Surat Al-Hajj, Verse 11): An Exegetical and Analytical Study

Sahr Faris Mohamed Idris,

Department of Shariah and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia

Email: *wafaahani.alhashmi@gmail.com*

Abstract

A Muslim's ability to implement the teachings of the Quran is contingent upon understanding and pondering its verses. Furthermore, Muslims must always be vigilant against those who seek to undermine their faith and be wary of the trials and tribulations that may test their belief. This study aims to illuminate some of the characteristics of hypocrites and those with wavering faith, allowing Muslims to recognize and avoid these traits. This research underscores the crucial distinction between lip service and genuine, heartfelt faith that manifests in actions. The study delves into various aspects, including the historical context of the verse, relevant hadiths, interpretations by early Muslim scholars, different ways of reciting this Quranic verse and their implications, linguistic and thematic analysis, rhetorical features, and finally, the broader wisdom and lessons to be gleaned from this Quranic verse.

Keywords: *Characteristics , Exegetical And Analytical Study , Hypocrite , Surat Al-Hajj*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أكرم الله أمة محمد – صلى الله عليه وسلم– بأفضل كتبه وأكثرها بيانا فأنزل على نبيه القرآن الكريم فيه هداية البشرية لمن اتبع أوامره واجتنب نواهيه وتنبه لحكمه وبيانه وحفظه من يديه ومن خلفه لا يعبث به العابثون ولا يمسه إلا المطهرون حيث قال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ). سورة الحجر آية (٩)

ولا يتمكن المسلم من العمل بما في القرآن الكريم إلا بفهمه وتدبر آياته وتعلم فقهه وحكمه فقد قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). سورة النساء آية (٨٢)

وبما أننا في زمن تكثر فيه الفتن والابتلاءات ويحتاج المسلم لما يعينه على الثبات فيها على الحق جاءت هذه الدراسة لتبين شيء من صفات المنافقين التي يجب على المسلم الحذر منها والتنبه لها حتى لا يقع فيها.

فنحن في حاجة ماسة لتوضيح الفرق بين الإيمان باللسان والإيمان بالقلب واللسان والجوارح خاصة عند الشدائد.

فكما هو الحال في كل زمان يمر على الناس الرخاء ويمر عليهم الشدة فمنهم من يعبد الله بالشكر والصبر ومنهم من يعبده في الرخاء وينقلب في الشدة والعياذ بالله.

ولهذا الغرض اخترت البحث في تفسير قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج آية (١١) دراسة تحليلية، تكشف عن معناه، وتبين هداياته.

أسأل الله أن يجعلها سببا للثبات على الحق والبعد عن الشك والانتكاس وأن يرزقنا صدق الإيمان وأن يرضى عنه سبحانه.

أولا: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١- صلته الوثيقة بالقرآن الكريم الذي هو كتاب الهداية للعاملين، وتوجيه للمسلمين ليعبدوا الله على يقين ثابتي الإيمان غير مذبذبين ولا متأثرين في ايمانهم بأحداث الحياة إلا بما يزيد إيمانهم ويزيدهم ثباتا.

٢- إبراز دور القرآن الكريم في بيان الحق للمسلم وإعانته على الثبات من خلال إبراز صفات المنافقين والتحذير منها.

٣- أن في التوجيه القرآني الذي اشتملت عليه الآية -محل البحث- تنبيها للمسلم ليكون أشد حذرا وأكثر حرصا على إيمانه من أن تشوبه شائبة أو يدخل فيه نفاق وأن يعبد الله في السراء والضراء بيقين بما عند الله في الآخرة.

٤- كونه سبيلا للتدبر وفهم كتاب الله -عز وجل-.

٥- خدمة القرآن الكريم، بالبحث في موضوع من موضوعاته، والتعرض لتفسير آية كريمة منه.

ثانيا: أهداف البحث:

١- دراسة قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج (آية ١١) دراسة تحليلية، تكشف عن معناه، وتبين هداياته.

٢- بيان صفات المنافق وتأثر إيمانه وزعزعته بأحداث الحياة.

٣- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث يتناول أحد الموضوعات القرآنية المهمة لبيان صفات المنافق وما يساعد المسلم على اتقاء هذه الصفات ويكون أكثر ثباتا على الإيمان.

ثالثا: موضوع البحث وتساؤلاته:

يدور موضوع البحث حول صفات المنافقين والمذبذبين في الإيمان من خلال تفسير قول الله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ " سورة الحج (آية ١١)

ويجيب البحث عن الأسئلة التالية:

١. ما اسم السورة؟ وما سبب تسميتها؟

٢. هل السورة مكية أوا مدنية؟

٣. كم عدد آياتها؟

٤. ما مناسبة مجيء سورة الحج بين سورتي الأنبياء والمؤمنون؟

٥. ما سبب نزول الآية؟

٦. هل للآية نظائر قرآنية؟ وماهي؟

٧. ماهي الأحاديث التي فسر المفسرون بها الآية؟

٨. ما أقوال السلف في تفسير الآية؟

٩. ما القراءات الواردة في الآية وما توجهها؟

١١. ما مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها؟

١٢. ما هو التفسير اللغوي والإجمالي للآية؟

١٣. كيف نعرب الآية؟

١٤. هل يوجد في الآية أساليب بلاغية؟ وما هي؟

١٥. ما الفوائد والهدايات التي يمكن استنباطها من الآية؟

خامسا: خطة البحث:

يشمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: وتضمنت ما يلي:

- **أولا: أسباب اختيار الموضوع وأهميته.**
- **ثانيا: أهداف البحث.**
- **ثالثا: موضوع البحث وتساؤلاته.**
- **رابعا: خطة البحث.**
- **خامسا: منهج البحث.**

التمهيد ويتضمن:

- **اسم السورة وسبب تسميتها.**
- **مكية السورة ومدنيتها.**
- **عدد آيات السورة.**
- **فضل السورة.**
- **مناسبة السورة لما قبلها.**
- **مناسبة السورة لما بعدها.**

المبحث الأول: التفسير بالرواية.

ويتضمن:

- **المطلب الأول: سبب نزول الآية.**
- **المطلب الثاني: تفسير الآية بالمأثور.**

- **المطلب الثالث**: القراءات الواردة في الآية.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية.

ويتضمن:

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

المطلب الثاني: المفردات اللغوية.

المطلب الثالث: إعراب الآية.

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية في الآية.

المطلب الخامس: التفسير الإجمالي للآية.

المطلب السادس: الفوائد والهدايات واللطائف القرآنية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، مع ذكر بعض التوصيات.

الفهارس: وقد احتوى البحث على الفهارس الآتية:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

سادسا: منهج البحث:

تناولت الآية ١١ من سورة الحج، ودرستها دراسة تفسيرية تحليلية، واتبعت في ذلك المنهج التالي:

- أذكر سبب نزول الآية.
- أبين مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.
- أنقل أقوال السلف في تفسير الآية.
- أبين أوجه القراءات في الآية، وأوجه الإعراب، والأساليب البلاغية فيها.
- أشرح الآيات شرحا إجماليا بناء على القول الراجح إن وجد.
- أذكر أقوال العلماء والمفسرين من مراجعها الأصلية توثيقا للنصوص وارشادا للقارئ إلى مظانها وأعزو كل قول إلى قائله.
- أعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان أرقام الآيات في المتن؛ لئلا تثقل الحواشي.
- أقوم بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزوها إلى مصادرها، فإن كان الحديث في صحيحي البخاري ومسلم -رحمهما الله- أو في أحدهما؛ اقتصرت على إضافته إليهما، وإن كان في غيرهما؛ فإني أخرجه مما تيسر لي، وأنقل حكم من حكم عليه من العلماء.
- أترجم للأعلام قدر المستطاع، وذلك عند ذكره لأول مرة معتمدة في ذلك على كتب الرجال، أما الصحابة-رضي الله عنهم- فجميعهم عدول فلم أترجم لهم.
- شرحت بعض المفردات الغريبة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

اسم السورة وسبب تسميتها

سورة الحج، سميت به لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه، وهو الطواف، إذ الإحرام نية، والوقوف بعرفات من استعداده، والسعي من تتمته، والحلق خروج عنه.

وذكر فيها منافعه وتعظيم شعائره وغير ذلك، مما يشير إلى فوائده وأسراره.[١]

وجه تسميتها سورة الحجّ أنّ اللّه ذكر فيها كيف أمر إبراهيم- عليه السّلام - بالدّعوة إلى حجّ البيت الحرام، وذكر ما شرع للنّاس يومئذٍ من النّسك تنويهًا بالحجّ وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريعًا للّذين يصدّون المؤمنين عن المسجد الحرام وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحجّ على المسلمين بالاتّفاق، وإنّما فرض الحجّ بالآيات الّتي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران.[٢]

سميت هذه السورة سورة الحج في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم-.

أخرج أبو داود، والترمذي عن عقبة بن عامر قال: "قلت: يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم ومَن لم يَسجُدْهُما فلا يَقْرأْهُما".[٣]

---

(١) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢هـ). محاسن التأويل، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ / (دار الكتب العلمية - بيروت) (٧/ ٢٢٩)

(٢) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير (الدار التونسية للنشر - تونس) (١٧٩/١٧)

(٣) ينظر: شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ١٧٤١٢ • حسن بطرقه وشواهده دون قوله: "ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما" • أخرجه أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وأحمد (١٧٤١٢) واللفظ له.

وأخرج أبو داود، وابن ماجه عن عمرو بن العاص أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان.[١] . وليس لهذه السورة اسم غير هذا.[٢]

• مكية السورة أو مدنيتها:

عن مجاهد[٣]، عن ابن عباس: أنها مكية سوى ثلاث آيات هذانِ خَصْمانِ (الحج: ١٩- ٢٢)، إلى تمام الآيات الثلاث، فإنهن نزلن بالمدينة، وفي آثار أخرى أنها كلها مدنية، كما في الإتقان وآياتها ثمان وسبعون آية.

وعن قتادة[٤] أنها مدنية غير أربع آيات (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ- إلى- عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) [الحج: ٥٢. ٥٥] فإنها مكيات، والأصح القول بأنها مختلطة فيها مدني ومكي وإن اختلف في التعيين وهو قول الجمهور.[٥]

---

(١) الألباني (ت ١٤٢٠)، تخريج مشكاة المصابيح ٩٨٧ • إسناده ضعيف.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ١٧٩)

(٣) مجاهد ابن جبر: يكنى أبا الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومي، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين، سمع من ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهم- ، روى عنه: الحكم، ومنصور، وابن أبي نجيح، وعطاء، وطاوس، قرأ القرآن على ابن عباس-رضي الله عنهما- عدة مرات، ت ١٠٤هـ. ينظر: طبقات ابن سعد (٦/١٩-٢٠).

(٤) وقتادة هو: قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة السدوسي يكنى أبا الخطاب تابعي ثقة، وكان يقول بشيء من القدر سمع أنسا، وأبا الطفيل، وسعيد بن المسيب، روى عنه: هشام، وشعبة، وسعيد بن أبي عروبة، ت ١١٧ هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (٩ /٢٣٠).

(٥) ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ). روح المعاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ. (دار الكتب العلمية – بيروت)، (٩/ ١٠٥)

- **عدد آيات السورة**:

آياتها ٧٨، وترتيبها في المصحف ٢٢، في الجزء السابع عشر.

- **فضل السورة**:

فضلت سورة الحج بسجدتين عند من أخذ به من أهل العلم كما روى عقبة بن عامر– رضي الله عنه– قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: (نعم فمن لم يسجدها فلا يقرأهما)[١].

وأخرج أبو داود في المراسيل، والبيهقي عن خالد بن معدان أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».

وأخرج سعيد ابن منصور وابن أبي شيبة والإسماعيلي وابن مردويه والبيهقي عن عمر أنه كان يسجد سجدتين في الحج وقال: إن هذه السورة فضلت على سائر القرآن بسجدتين. وقد روي عن كثير من الصحابة أن فيها سجدتين، وبه يقول ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.[٢]

وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مكيا ومدنيا، سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابها.[٣]

---

(١) مسند الامام أحمد (٢٨/٥٩٣–٥٩٥). وحسنه محققوه بشواهده. وأخرجه الترمذي والحاكم وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المراسيل لأبي داود ١/ ١١٤ • من طرق عن ابن لهيعة به وهذا سند جيد • أخرجه أبو داود (١٤٠٢)، وأحمد (١٧٣٦٤) واللفظ له

رواه الترمذي (٥٧٨) وأبو داود (١٤٠٢) والحاكم (٢/٣٩٠) والبيهقي (٢/٣١٧)

(٢) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفي: ١٢٥٠هـ). فتح القدير، الطبعة: الأولى، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب). (٣/ ٥١٣)

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥١٣)

- **مناسبة السورة لما قبلها**:

لما ختمت قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، وطيّ السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال: (يا أَيُّهَا النَّاسُ) أي الذين تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم (اتَّقُوا رَبَّكُمُ) أي احذروا عقاب المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية الطاعات.(١)

وكذلك مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه ذكر تعالى حال الأشقياء والسعداء وذكر الفزع الأكبر وهو ما يقول يوم القيامة، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم. نزلت هذه السورة تحذيراً لهم وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدّة هولها، وذكر ما أعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم، وبهمود الأرض واهتزازها بعد بالنبات.(٢)

- **مناسبة السورة لما بعدها**:

لما ختمت الحج بناء الذين آمنوا وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه، فابتدأت سورة المؤمنون بما يثمر الاعتصام به سبحانه في الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين.(٣)

---

(١) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي). (٥/ ١٢٩).

(٢) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر). (٦/ ٣٢٤)

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ١٨٢)

المبحث الأول:

التفسير بالرواية

المطلب الأول: سبب نزول الآية

المطلب الثاني: تفسير الآية بالمأثور

المطلب الثالث: القراءات الواردة في الآية

المبحث الأول: التفسير بالرواية

❖ المطلب الأوبل: سبب نزول الآية:

١- أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس- رضي الله عنهما - قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي- صلى الله عليه وسلم - فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير. فأنزل الله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ).[1]

---

(١) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر). (٦/ ١٣).

ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ (مؤسسة الرسالة). (١٨/ ٥٧٥).

ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ (بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي). (٧/ ٩).

ينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الطبعة: الأولى١٤١٩ هـ (بيروت: دار الكلم الطيب). (٢/ ٤٣٠).

ينظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (المتوفى: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (بيروت: دار الكتب العلمية). (٣/ ٢٤٩)،

ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي). (٦/ ٩٧).

ينظر: الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي). (٤/ ١١١)

٢- أخرج البخاري عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدتِ امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية.(١)

٣- عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في الآية قال: كان أحدهم إذا قدم المدينة وهى أرض وبيئة- فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما، ورضى به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن رجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا. وذلك الفتنة.(٢)

---

(١) أورد هذا الحديث الطبري والبغوي وابن عطية وابن الجوزي وابن كثير وابن عاشور وجعلوا الحديث سبب نزولها. وأورده القرطبي ومعه غيره لكن بدون ترجيح.

ينظر: المزيني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ (دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية). (٢/ ٦٩٧).

ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٧).

ينظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى (دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة). (٩/ ٢٨٥)

(٢) ينظر: الدر المنثور (١٤/٦).

ينظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ (مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية). (٨/ ٢٤٧٧)

ينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع)، (ص ٣٥٥).

وأخرجه الطبري: ١٧ / ١٢٢ - ١٢٣، وأخرج البخاري نحوه في التفسير: ٨ / ٤٤٢ عن ابن عباس.

٤- قال ابن عباس: (نزلت هذه الآيات في أناس من بني أسد بن خزيمة، أصابتهم سنة شديدة فأجدبوا فيها، فمضوا بعيالهم إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة مهاجرين، فكانوا إذا أعطوا من الصدقة، وأصابوا خيرا اطمأنوا بذلك وفرحوا به، وإن أصابهم وجع وآفة، وولدت نساؤهم البنات، وتأخرت عنهم الصدقة، قالوا: ما أصابنا مذ كنا على هذا الدين إلا شر ، فينقلب عن دينه ، وذلك الفتنة).[١]

٥- قال الضحاك[٢]: نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم عيينة بن بدر[٣] والأقرع بن حابس[٤] والعباس بن مرداس[٥]، قال بعضهم لبعض ندخل في دين محمد فإن أصابنا

ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، (دار طيبة للنشر والتوزيع). (٥/ ٤٠٠)

(١) ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٨٠)

(٢) الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ أبو القاسم الخراساني المفسر، يروى «تفسيره» عنه عبيد بن سليمان. والضحاك خراساني صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة. مات بعد المئة، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٢٢)

(٣) عيينة بن بدر، ورد بأن عيينة فزاري، وهو منسوب إلى جده، وإنما هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإسلامه كان قبل قدوم وفد بني تميم، بل كان النبي- صلّى اللّه عليه وآله وسلم - أرسله إلى بني العنبر من تميم في سرية فأغار عليهم، فكان ذلك سبب قدوم وفدهم. واللّه أعلم. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٦٠)

(٤) اسم الأقرع: فراس، ولقب الأقرع لقرع كان في رأسه، والقرع: انحصاص الشعر، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام، واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش. أسد الغابة (١/ ٢٦٤)

(٥) العبّاس بن مرداس يكنى أبا الهيثم، كان العبّاس يوم الفتح في ألف من بني سليم، ومات العبّاس في خلافة عمر أو عثمان.

ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (المتوفي: ٨٥٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: مركز هجر للبحوث، (دار هجر). (٣/ ٣٦)

خير عرفنا أنه حق، وإن كان غير ذلك عرفنا أنه باطل[١].

٦- عن أبي سعيد الخدري قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أقلني، فقال: "إن الإسلام لا يقال"، فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيرا، أذهب بصري ومالي وولدي، فقال: "يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب"، قال: ونزلت: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)[٢].[٣]

٧- قال الكلبي: نزلت هذه الآية في أعراب كانوا يقدمون على النبي - صلى الله عليه وسلم- بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي به واطمأن إليه وإن أصابه وجع وولدت امرأته جارية أو أجهضت رماكه[٤] وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه

(١) ينظر: النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ (دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان). (١٤/ ٣٠).
ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٥)

(٢) أخرجه ابن مردويه (فتح القدير: ٣/ ٤٤٢) (فتح الباري: ٨/ ٤٤٣) عنه، وإسناده ضعيف

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص: ٣٠٧)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٧)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤٨٩)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ١١٩)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٩٧)

(٤) الرماك جمع رمكة وهي الفرس أنثى الحصان، أو البرذونة أنثى الحمار، تتخذ للنسل والنتاج، وتجمع ما أرماك أيضا.

الشيطان وقال له ما جاءتك هذه الشرور إلا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه.[١]

٨- من يعبد الله نزلت في أعراب من أسلم وغطفان تباطؤوا عن الإسلام وقالوا:

نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فلا يقرونا ولا يؤونا. وقيل: في أعراب لا يقين لهم يسلم أحدهم فيتفق تثمير ماله وولادة ذكر وغير ذلك من الخير، فيقول: هذا دين جيد أو ينعكس حاله فيتشاءم ويرتد كما جرى للعرنيين قال معناه ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.[٢]

*** النتيجة:**

أن الحديث المذكور سبب نزول الآية، لصحة سنده، وموافقته للسياق القرآني واتفاق المفسرين على معناه. واللَّه أعلم.

(١) ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ (دار إحياء التراث العربي – بيروت). (٢٣/ ٢٠٨).

ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ١٤).

ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧).

ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٢٩)

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤٨٩)

المطلب الثاني: تفسير الآية بالمأثور:

أولا: النظير القرآني:

١- قوله تعالى: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ) [النساء: ١٤٣]

٢- قوله تعالى: (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) [النساء: ١٤١].[١]

٣- قوله تعالى: (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ)[البقرة: ١٤٣].[٢]

٤- قال تعالى: (فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابتلاه رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ) [الفجر: ١٥]

٥- قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) سورة التوبة:٥٨[٣]

٦- (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) [الأنبياء: ٣٥]

ثانيا: السنة النبوية:

١- قال أبو سعيد الخدري: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله، فتشاءم بالإسلام فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أقلني! فقال:" إن الإسلام لا يقال" فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيرا! ذهب بصري ومالي وولدي! فقال:" يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب"، فأنزل الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)[٤].[٥]

---

(١) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٣)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٨٥)

(٤) ينظر: الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ (دار ابن خزيمة – الرياض). (٣٧٩/٢) غريب عن الخدري • كما أخرجه ابن مردويه في «تفسيره».

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧)

٢- في حديث «الموطأ»: أن أعرابيا أسلم وبايع النبي- صلى الله عليه وسلم- فأصابه وعك بالمدينة، فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- يستقيله بيعته فأبى أن يقيله، فخرج من المدينة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-:

«المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها»[١] فجعله خبثا لأنه لم يكن مؤمنا ثابتا.[٢]

ثالثا: أقوال الصحابة- رضي الله عنهم-:

١- عن ابن عباس - رضي الله عنهما-: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.[٣]

٢- عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي- صلى الله عليه وسلم- فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير. فأنزل الله ومن الناس من يعبد الله على حرف.[٤]

٣- عن ابن عباس، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) ... إلى قوله (انقلب على وجهه) قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صح بها جسمه، ونتجت فرسه مهرا حسنا، وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته

---

(١) ورد الحديث في صحيح البخاري بزيادة" ويَنْصَعُ طَيِّبُها". البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٨٨٣ • [صحيح] • أخرجه البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (١٣٨٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٢)

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ١٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٨/ ٢٤٧٦)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٧/ ٢٣٥)

جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة.[١]

٤- قال ابن عباس: يريد شيبة بن ربيعة[٢] كان قد أسلم قبل أن يظهر رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فلما أوحي إليه ارتد شيبة بن ربيعة.[٣]

ذلك أن شيبة بن ربيعة قال للنبي- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يظهر أمره: ادع لي ربك أن يرزقني مالا وإبلا وخيلا وولدا حتى أو من بك وأعدل إلى دينك، فدعا له فرزقه الله - عز وجل- ما تمنى، ثم أراد الله - عز وجل- فتنته واختباره وهو أعلم به فأخذ منه ما كان رزقه بعد أن أسلم فارتد عن الإسلام فأنزل الله- تبارك وتعالى- فيه:" ومن الناس من يعبد الله على حرف" يريد شرط.[٤]

٥- عن الحسن - رضي الله عنه- في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يأتي المدينة مهاجرا فإن صح جسمه وتتابعت عليه الصدقة وولدت امرأته غلاما وأنتجت فرسه مهرا قال: والله لنعم الدين وجدت دين محمد- صلى الله عليه وسلم- هذا ما زلت أعرف الزيادة في جسدي وولدي وإن سقم بها جسمه واحتبست عليه الصدقة وأزلقت فرسه وأصابته الحاجة وولدت امرأته الجارية قال: والله لبئس الدين دين

---

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٧٥)

(٢) شيبة بن ربيعة يكنى أبا هاشم. كان شيبة يجتمع مع قريش فيما يكذّبه رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم- من الأذى له، غير أنه كان لا يتولى ذلك بيده. وقتل يوم بدر، قتله عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وذفف عليه حمزة وعلي - عليهما السلام- . ينظر: أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ١٥٢)

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧).

ينظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ١١٩)

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧)

محمد هذا والله ما زلت أعرف النقصان في جسدي، وأهلي، وولدي، ومالي.[١]

٦- عن الحسن وهو أن المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان فهما حرفا الدين، فإذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل في الدين وإذا أظهر بلسانه الدين لبعض الأغراض وفي قلبه النفاق جاز أن يقال فيه على وجه الذم يعبد الله على حرف الثاني: قوله: على حرف أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون طمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. وهذا هو المراد فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه لأن الثبات في الدين إنما يكون لو كان الغرض منه إصابة الحق وطاعة الله والخوف من عقابه فأما إذا كان غرضه الخير المعجل فإنه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الضراء فلا يكون إلا منافقا مذموما وهو مثل قوله تعالى: مذبذبين بين ذلك [النساء: ١٤٣] وكقوله: فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم [النساء: ١٤١].[٢]

٧- قال أبو عبيدة: كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم.[٣]

---

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ١٤).

ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨).

ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان). (٤/ ١٠)

(٢) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨).

ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧/ ١٠).

(٣) ينظر: الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ (دار الكتاب العربي – بيروت). (٣/ ٢٢٥)

ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤٨٩).

ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٩٧).

رابعا: أقوال التابعين -رحمهم الله- :

١- عن مجاهد، قوله (عَلَى حَرْفٍ) قال: على شك (فإن أصابه خير) رخاء وعافية (اطمأن به) استقر (وإن أصابته فتنة) عذاب ومصيبة (انقلب) ارتد (على وجهه) كافرا.(١)

٢- عن قتادة- رضي الله عنه- في قوله (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: على شك (فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) يقول: إن أصاب خصبا وسلوة من عيش وما يشتهي اطمأن إليه وقال: أنا على حق وأنا أعرف الذي أنا عليه (وإن أصابته فتنة) أي بلاء (انقلب على وجهه) يقول: ترك ما كان عليه من الحق فأنكر معرفته خسر الدنيا والآخرة يقول: خسر دنياه التي كان لها يحزن وبها يفرح ولها يسخط ولها يرضى وهي همه وسدمه وطلبته ونيته ثم أفضى إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها خيرا (ذلك هو الخسران المبين).(٢)

---

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٧٦).
ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٤٠١).
ينظر: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤٨٣
(٢) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ١٤).
ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٧٥).
ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٨٥)

المطلب الثالث: القراءات الواردة في الآية:

اختلف في قراءة "خسر" في قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ).

خسر:

١ – فعلا ماضيا، وهى قراءة الجمهور.

٢– وقرئ: خاسر الدنيا، اسم فاعل، نصب على الحال.[١]

وانفرد ابن مهران[٢]عن روح بإثبات الألف في خسر الدنيا على وزن فاعل وخفض الآخرة، وكذا روى زيد عن يعقوب[٣]،

---

(١) ينظر: الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الموسوعة القرآنية، الطبعة: ١٤٠٥ هـ (مؤسسة سجل العرب). (٦/ ٥١)

(٢) ابن مهران أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني، الإمام، القدوة، المقرئ، شيخ الإسلام، مصنف (الغاية في القراءات). ولد: سنة خمس وتسعين ومائتين. وسمع: أحمد بن محمد الماسرجسي، وابن خزيمة، وأبا العباس السراج، ومكي بن عبدان، وجماعة. وتلا بالعراق على: زيد بن أبي بلال، وأبي الحسين بن بويان، وأبي بكر النقاش، وأبي عيسى بكار، وابن مقسم، وبدمشق على أبي الحسن محمد بن النضر الأخرم، روى عنه: الحاكم، وابن مسرور، وأبو سعد الكنجروذي، وعبد الرحمن بن عليك، وأبو سعد أحمد بن إبراهيم المقرئ، وتلا عليه: مهدي بن طرارة، وطائفة. قال الحاكم: كان إمام عصره في القراءات، وكان أعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة. توفي: في شوال سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة. سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٦)

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي، قرأ على يونس بن عبيد النحوي، وقرأ يونس على الحسن البصري، وهو من أهل العلم بالقرآن، وكان يعقوب – رحمه الله– من كبار الأئمة في القراء، وروى عن جماعة من المشهورين كسلّام الطويل الخراساني، وشهاب بن شرنفة المجاشعي، وعصمة بن عروة الفقيمي، وروى عنه الأكابر كأبي حاتم السّجستاني، وأيوب بن المتوكّل، ومات يعقوب في ذي الحجة سنة خمس وثمانين في أيام المأمون. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم (ص: ٩٩)

وهي قراءة مجاهد[١] وابن محيصن[٢] وجماعة إلا ابن محيصن بنصب الآخرة.[٣]

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن محيصن وكنيته، فقيل محمد بن عبد الله بن محيصن، وقيل: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محيصن، وقيل: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن محيصن، وهو من بني سهم، كان عالما بالعربية، عارفا بالأشعار اللغوية، ومات ابن محيصن سنة اثنتين وعشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك رحمه. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم (ص: ١٠٣)

(٣) ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، : النشر في القراءات، المحقق : علي محمد الضباع ، (المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]). (٢/ ٣٢٥)

المبحث الثاني: التفسير بالدراية

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

المطلب الثاني: المفردات اللغوية.

المطلب الثالث: إعراب الآية.

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية في الآية.

المطلب الخامس: التفسير الإجمالي للآية.

المطلب السادس: الفوائد والهدايات واللطائف القرآنية.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية

المطلب الاول: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

مناسبة الآية لما قبلها:

ولما بين قسمي المصارحين بالكفر الكثيف والأكثف صريحا. وأفهم المؤمن المخلص، عطف على ذلك المذبذب فقال: (ومن الناس).[١]

أنه تعالى لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه على ما ذكرنا عقبه بذكر المنافقين فقال: ومن الناس من يعبد الله على حرف[٢]

مناسبة الآية لما بعدها: ما بعدها متمم لها.

المطلب الثاني: المفردات اللغوية:

من قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ).

يعبد: عبد يعبد عبادة فلا يقال إلا لمن يعبد الله. وتعبد تعبدا، أي: تفرد بالعبادة.[٣]

(عبد الله) عبَادَة وعبودية انْقَادَ لَهُ وخضع وذل وَيُقَال مَا عَبدك عني مَا حَبسك.[٤]

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٦)

(٢) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨)

(٣) ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال). (٢/ ٤٨)

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (دار الدعوة). (٢/ ٥٧٩)

حرف: (الحرف) من كل شيء طرفه وجانبه ويقال فلان على حرف من أمره ناحية منه إذا رأى شيئا لا يعجبه عدل عنه وفي التنزيل العزيز (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي يعبده في السراء لا في الضراء.[١]

فتنة: من مادة (فتن) الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار. من ذلك الفتنة. يقال: فتنت أفتن فتنا. وفتنت الذهب بالنار، إذا امتحنته.[٢]

انقلب: من مادة القَلْبُ: تحويلك الشيء عن وجهه.[٣]

المطلب الثالث: إعراب الآية:

(وَمِنَ النَّاسِ): (الواو) استئنافيّة (من الناس) متعلّق بمحذوف خبر مقدّم.

(مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ): (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر، (يعبد) فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره هم (الله) لفظ جلالة منصوب على التعظيم.

(عَلى حَرْفٍ) الجارّ والمجرور وهما الحال.

(فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ) فإن الفاء عاطفة وإن شرطية وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به وخير فاعل.

(اطْمَأَنَّ بِهِ) اطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وبه متعلقان باطمأن وبه جار ومجرور.

(وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ) وإن الواو عاطفة على إن الأولى والجملة معطوفة على جملة أصابه خير.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ١٦٧)

(٢) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر)، (٤/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: العين للخليل الفراهيدي (٥/ ١٧١).

(انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ) في محلّ جزم جواب الشرط الثاني (على وجهه) حال من فاعل انقلب أي كافرا.

(خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ) خسر فعل ماضي والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والدنيا مفعول خسر والآخرة عطف على الدنيا.

(ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين نعت للخسران والجملة مستأنفة ولك أن تجعل هو ضمير فصل.[١]

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية في الآية:

التشبيه(٢):

١- قوله تعالى: (يعبد الله على حرف) تمثيل لحال المتردد في عمله، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله فينقلب، أي ينكب.[٣]

وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه فشبه به الشاك، لأنه قلق في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: فإن أصابه خير أي: رخاء وعافية اطمأن به على عبادة الله وإن أصابته فتنة اختبار بجدب وقلة مال انقلب على وجهه أي: رجع عن

---

(١) ينظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ (دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، (٦/ ٤٠١).

ينظر: صافي، محمود بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ (دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت). (١٧/ ٩٣)

(٢) التشبيه: (الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى)، ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٤٢)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٢).

ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧).

ينظر: تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (٥/ ١٨٠)

دينه إلى الكفر. والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر، خسر الدنيا حيث لم يظفر بما أراد منها، وخسر الآخرة بارتداده عن الدين.(١)

٢- قوله تعالى:(خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)

الخسران: تلف جزء من أصل مال التجارة، فشبه نفع الدنيا ونفع الآخرة بمال التاجر الساعي في توفيره لأن الناس يرغبون تحصيله، وثنى على ذلك إثبات الخسران لصاحبه الذي هو من مرادفات مال التجارة المشبه به، فشبه فوات النفع المطلوب بخسارة المال.(٢)

٣- وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة. كالذي ينحرف إلى طرف الجيش. فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ وإلّا فرّ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ أي دنيويّ من صحة وسعة اطْمَأَنَّ بِهِ أي ثبت على ما كان عليه ظاهرا وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ أي ما يفتتن به من مكروه ينزل به انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ أي رجع إلى ما كان عليه من الكفر خَسِرَ أي بهذا الانقلاب الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ أي ضيّعهما بذهاب عصمته، وحبوط عمله، بالارتداد ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ أي الواضح الذي لا يخفى على ذي بصيرة.(٣)

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٢٥)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٤)

(٣) ينظر: تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٧/ ٢٣٥)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ١١٩)، تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٣٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٧).

ينظر: الزحيلي، د وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ (دار الفكر المعاصر – دمشق). (١٧/ ١٦٦)

الكناية[١]:

١- "الحرف" هنا كناية عن المقصد، وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه.[٢]

المطلب الخامس: التفسير الإجمالي للآية:

أنه – تعالى- لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه على ما ذكرنا عقبه بذكر المنافقين فقال: ومن الناس من يعبد الله على حرف وفي تفسير الحرف وجهان:

الأول: ما قاله الحسن وهو أن المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان فهما حرفا الدين، فإذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل في الدين وإذا أظهر بلسانه الدين لبعض الأغراض وفي قلبه النفاق جاز أن يقال فيه على وجه الذم يعبد الله على حرف. الثاني: قوله: على حرف أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون طمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. وهذا هو المراد فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه لأن الثبات في الدين إنما يكون لو كان الغرض منه إصابة الحق وطاعة الله والخوف من عقابه فأما إذا كان غرضه الخير المعجل فإنه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الضراء فلا يكون إلا منافقا مذموما.[٣]

---

(١) الكناية هي: (ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٥٩)

(٢) ينظر: ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ (: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت). (٢/ ٣٤)

(٣) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨)، تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٧٥)

وهو مثل قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك) [النساء: ١٤٣] وكقوله سبحانه:(فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) [النساء: ١٤١].

وأما قوله: وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ففيه سؤالات:

الأول: كيف قال: وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه والخير أيضا فتنة لأنه امتحان وقال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) [الأنبياء: ٣٥]، والجواب: مثل هذا كثير في اللغة لأن النعمة بلاء وابتلاء لقوله: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه) [الفجر: ١٥] ولكن إنما يطلق اسم البلاء على ما يثقل على الطبع، والمنافق ليس عنده الخير إلا الخير الدنيوي، وليس عنده الشر إلا الشر الدنيوي، لأنه لا دين له. فلذلك وردت الآية على ما يعتقدونه، وإن كان الخير كله فتنة، لكن أكثر ما يستعمل فيما يشتد ويثقل.

السؤال الثاني: إذا كانت الآية في المنافق فما معنى قوله: (انقلب على وجهه) وهو في الحقيقة لم يسلم حتى ينقلب ويرتد؟ والجواب: المراد أنه أظهر بلسانه خلاف ما كان أظهره فصار يذم الدين عند الشدة وكان من قبل يمدحه وذلك انقلاب في الحقيقة.[١]

السؤال الثالث: قال مقاتل: الخير هو ضد الشر فلما قال: فإن أصابه خير اطمأن به كان يجب أن يقول: وإن أصابه شر انقلب على وجهه الجواب: لما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل- تعالى- وإن أصابه شر، بل وصفه بما لا يفيد فيه القبح.

أما قوله تعالى: (خسر الدنيا والآخرة) فذلك لأنه يخسر في الدنيا العزة والكرامة وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والإمامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا، وأما في الآخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم وذلك هو الخسران المبين.[٢]

---

(١) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٨)، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧/ ١٠)

(٢) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٩)

أكثر المفسرين قالوا: على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه، نحو حرف الجبل والحائط الذي كالقائم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وأصله كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر، يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق.[١]

المطلب السادس: الفوائد والهدايات واللطائف القرآنية:

١- كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه فشبه به الشاك، لأنه قلق في دينه على غير ثبات.[٢]

٢- المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة، أو شدة، أو اختبار، أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.[٣]

---

(١) ينظر: البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ (دار طيبة للنشر والتوزيع). (٥/ ٣٦٨) تفسير القرطبي (١٢/ ١٧)، ينظر: ابن أبو زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تفسير القرآن العزيز، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ (الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة). (٣/ ١٧٣)

ينظر: الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ (دار الجيل الجديد - بيروت). (٢/ ٥٧١)

تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٧٥)، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٤٩)

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٢٠)

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠١)

٣- من الناس من يعبد الله على وجه تجربة وشك وانتظار نعمة.(١)

٤- حقيقية إيمان المنافق أنه على ضعف في عبادته، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه. وحرف كل شي طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد.

٥- في قوله " على حرف" أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء، ولو عبدوا الله على الشكر في السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف.(٢)

٦- المنافق إن رأى في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم وأنا معكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بلية لم يصبر على مصيبتها، وانقلب على وجهه كافرا، وترك ما كان عليه.(٣)

٧- المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ أي صحة في جسمه وسعة في معيشته اطْمَأَنَّ بِهِ أي رضي به وسكن إليه وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ أي ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر.(٤)

٨- الذي يعبد الله على شك خَسِرَ الدُّنْيا أي خسر راحة الاطمئنان في الدنيا.

وفِي الْآخِرَةَ خسر العاقبة الطيبة التي هي جزاء المؤمنين.

وذلك هو الْخسران الْمبِين الخسران الحق الذي لا خسران بعده.(٥)

---

(١) ينظر: ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، (دار الكتب العلمية – لبنان). (ص: ٢٧٧)

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧)

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣/ ١٧٣)

(٤) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٥٠)

(٥) ينظر: الموسوعة القرآنية (١٠/ ٣٤٥)

٩- المتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد صورت المذبذبين في عقيدتهم أكمل تصوير، فهم يقيسون العقيدة بميزان الصفقات التجارية، إن ربحوا من ورائها فرحوا، وإن خسروا فيها أصابهم الغم والحزن.[١]

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٨٥)

الخاتمة

الحمدلله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حمدا يليق بجلاله ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما شاء ربي من شيء بعد، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وعلى صحبه وأهل بيته ومن ولاه إلى يوم الدين.

فبعد هذه الدراسة التفسيرية التحليلية للآية الحادية عشر من سورة الحج يمكنني أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

١- سميت سورة الحج بهذا الاسم لاشتمالها على أصل وجوب الحج والمقصود من أركانه.

٢- ذهب بعض المفسرين إلى كونها مكية إلا بضع آيات منها.

٣- يبلغ عدد آيات السورة ٧٨، وترتيبها في المصحف ٢٢، في الجزء السابع عشر.

٤- من فضائل السورة أنها السورة الوحيدة التي فيها سجدتين.

٥- أن سورة الحج أتت بعد سورة الأنبياء ومناسبة ذلك: أن سورة الأنبياء ختمت بالترهيب من الفزع الأكبر، وطيّ السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم.

٦- أن سورة المؤمنون أتت بعد سورة الحج ومناسبة ذلك: لما ختمت الحج بناء الذين آمنوا وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه، فابتدأت سورة المؤمنون بما يثمر الاعتصام به سبحانه في الصلاة وغيرها.

٧- سبب نزول الآية: ما أخرجه البخاري عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدتِ امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

٨- اختلف في قراءة "خسر" على لغتين (خسر) و (خاسر) ولا فرق بينهما في المعنى.

٩- من الأساليب البلاغية في الآية التشبيه لحال المتردد في عمله، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله فينقلب، أي ينكب، وكذلك في خسارته بتلف جزء من أصل مال التجارة، فشبه نفع الدنيا ونفع الآخرة بمال التاجر الساعي في توفيره لأن الناس يرغبون تحصيله.

١٠- أن المنافق يعبد الله في الرخاء فإذا ابتلاه الله واختبره ارتد وانقلب إلى كفره ولم يصبر نسأل الله العافية.

ذلك والله أعلم بالصواب

تم بحمدالله وفضله

فهرس الآيات القرآنية

الآية ورقمها واسم السورة	الصفحة
(إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ) [البقرة: ١٤٣].	٨٦١
(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). سورة النساء آية (٨٢)	٨٤٥
(فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) [النساء: ١٤١]	٨٦١
(مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ) [النساء: ١٤٣]	٨٦١
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) سورة التوبة:٥٨	٨٦١
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ). سورة الحجر آية (٩)	٨٤٥
(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)[الأنبياء: ٣٥]	٨٦١
(يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ) سورة الحج آية ١	٨٥٤
(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج آية (١١)	٨٤٦
(وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ- إلى- عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) الحج: ٥٢إلى ٥٥	٨٥٢
(فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابتلاه رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ) [الفجر: ١٥]	٨٦١

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
حديث: قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها»	٨٦٢
عن أبي سعيد الخدري قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: أقلني	٨٥٩
عن عمرو بن العاص أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أقرأه خمس عشرة سجدة	٨٥٢
وعن قتادة أنها مدنية غير أربع آيات (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ	٨٥٢
عن ابن عباس: أنها مكية سوى ثلاث آيات هذانِ خَصْمانِ (الحج: ١٩– ٢٢)، إلى تمام الآيات الثلاث،	٨٥٢
ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يقدم المدينة	٨٥٧
قال ابن عباس: (نزلت هذه الآيات في أناس من بني أسد بن خزيمة، أصابتهم سنة شديدة فأجدبوا فيها، فمضوا بعيالهم	٨٥٨
حديث: عقبة بن عامر قال: "قلت: يا رسول الله أفضلت سورة الحج	٨٥١
عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي – صلى الله عليه وسلم– فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم	٨٥٦
عن مجاهد، قوله (عَلَى حَرْفٍ) قال: على شك (فإن أصابه خير) رخاء	٨٦٥

عن قتادة –رضي الله عنه– في قوله (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: على شك	٨٦٥
قال الضحاك: نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم عيينة بن بدر والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ، قال بعضهم لبعض	٨٥٨
عن ابن عباس– رضي الله عنهما–: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته	٨٦٢
عن الحسن– رضي الله عنه– في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال: كان الرجل يأتي المدينة مهاجرا فإن صح جسمه	٨٦٣
عن ابن عباس، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) ... إلى قوله (انقلب على وجهه) قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة	٨٦٢
قال ابن عباس: يريد شيبة بن ربيعة كان قد أسلم قبل أن يظهر رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فلما أوحي إليه	٨٦٣

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ط.٢، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الصالح، ١٤١٢هـ).

٣- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ).

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية (ط.١)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م).

٦. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني تحقيق: مركز هجر للبحوث، (الناشر: دار هجر).

٧. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ط ٤(حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ١٤١٥هـ).

٨. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (دار الفكر - بيروت (ط.١)، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)

٩- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ط.د)، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

١٠.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ج٣٠، (ط.د)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

١١. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، ط١، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، (بيرو ت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

١٢. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين (دار الكتب العلمية – بيروت (ط.١)، ١٤١٥ هـ)

١٣- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، المعروف بابن أبي زمنين تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (مصر: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ).

١٤. تفسير القرآن العظيم البن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ابن أبي حاتم، ط٣، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ).

١٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ط٢، تحقيق: سامي بن محمد سالمة، (المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ).

١٦. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، ط١، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر: دار الفكر السالمي الحديثة، ١٤١٠ هـ).

١٧- الكتاب: التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، (ط.١٠)، (دار الجيل الجديد – بيروت، ١٤١٣ هـ).

١٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٨م).

١٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ).

٢٠. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان)

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، ط١، تحقيق: عبد هلا بن عبد المحسن التركي، (مصر: دار هجر،١٤٢٢هـ).

٢٢. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ط٤(بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٨هـ).

٢٣. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ).

٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (ط)١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م)

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ط.د)، (بيروت: دار الفكر، ت.د).

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٢٧.زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٢٢هـ).

٢٨.سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد هللا محمد بن يزيد القز ويني، (ط.د)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية فيصل عيس ى البابي الحلبي، (ت.د)).

٢٩.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ط.د)، (بيروت: المكتبة العصرية، (ت.د)).

٣٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى، ط٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ).

٣١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ج٢٥، ط٣، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).

٣٢. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ط.د)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي، (ت.د)).

٣٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، ط١، تحقيق: د. علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ).

٣٤. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي، تحقيق: أحمد محمد عزوز (المكتبة العصرية – صيدا بيروت، (ط.١) ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م).

٣٥. طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت)

٣٦. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (ط. د)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (لبنان: دار ومكتبة الهلال، (ت.د)).

٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب)

٣٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد هلا الشوكاني اليمني، ط١(دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).

٣٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، ط ٣(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

٤٠– الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، ط١، تحقيق: مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى، (جدة: دار التفسير، ١٤٣٦هـ).

٤١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٤٣. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحالق القاسمي، ط١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٤٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ط ١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

٤٥- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ط.١، (دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ هـ)

٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ط.١، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ).

٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ط ١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ).

٤٨. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي – بيروت، (ط.٣)، ١٩٨٥).

٤٩. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط٤، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، (المملكة العربية السعودية: دار طيبة، ١٤١٧ هـ).

٥٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارسبن زكريا القزويني الرازي، (ط.د)، تحقيق: عبد السالم محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

٥١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (ط.د)، (القاهرة: دار الدعوة، (ت.د)).

٥٢. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٥٣. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (مؤسسة سجل العرب ط. ١٤٠٥ هـ)

٥٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، (ط.د)، (القاهرة: دار الكتاب السالمية، (ت.د)).

٥٦. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف تحقيق علي محمد الضباع (المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]).